بحر 'قزوين' : المنطقة الأكثر استقطابا للتنافس الروسي الأمريكي!

12-1-2004

وبسبب مناعة المنطقة, المناخ والاختلال السياسي, فإنه لا وجود لأي استثمار هناك. وتبعا لذلك, فإن المرافق في منطقة قزوين تحتاج إلى تحديث، كماأن الدعائم الخاصة بالبنية الأساسية غير مؤهلة تماما. والجانب الإيجابي في هذا الوضع هو اشتياق وتلهف المستثمرين الأجانب وكذا عمالقة الطاقة الذين يمكن أن يغرقوا في المنطقة. ومع تنامي الاستثمار، تبرز الحاجة للإجراءات الأمنية الفعالة.

تعتبر منطقة بحر "قزوين" إحدى أهم المناطق الجغرافية السياسية في أوراسيا (الأوروبية الآسيوية), وتتكون من البحر نفسه وأجزاء من عدة بلدان تشترك في تشكيل شواطئه: كازاخستان, روسيا, أذربيجان, إيران وتركمانستان. وبوجه عام, يمكن رؤية المنطقة على أنها تضم كامل القوقاز, وأجزاء كبيرة من إيران وأوزبكستان. وتنبع أهمية المنطقة الاستراتيجية من حقيقتين أساسيتين: الكميات الضخمة من موارد الطاقة الكامنة, والصدع الجغرافي السياسي الذي لا يزال قائما بعد تمزيق الاتحاد السوفيتي.

وتعد المنطقة مخزنا لبعض أضخم احتياطيات "الهيدروكربون" غير المستغلة على وجه الكرة الأرضية. حيث تقدر وزارة الطاقة الأمريكية أن لدى المنطقة بين 17 و 33 بليون برميل من احتياطيات النفط المؤكدة و 232 تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي, في حين تقدر الاحتياطيات المحتملة بحوالي 200 بليون برميل من النفط وتقريبا 350 تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي.

وبسبب مناعة المنطقة, المناخ والاختلال السياسي, فإنه لا وجود لأي استثمار هناك. وتبعا لذلك, فإن المرافق في منطقة قزوين تحتاج إلى تحديث، كماأن الدعائم الخاصة بالبنية الأساسية غير مؤهلة تماما. والجانب الإيجابي في هذا الوضع هو اشتياق وتلهف المستثمرين الأجانب وكذا عمالقة الطاقة الذين يمكن أن يغرقوا في المنطقة. ومع تنامي الاستثمار، تبرز الحاجة للإجراءات الأمنية الفعالة.

وقد أفصحت الأحداث الأخيرة في جورجيا (التي عزلت في خضمها ثورة سلمية، الزعيم القديم إدوارد شيفاردنادزه) عن حالة الاختلال السياسي التي تطبع المنطقة. والحدود الكاملة بين الاتحاد السوفيتي المنقرض وباقي آسيا تشكل الآن صفًّا يبدأ مع القوقاز في الجنوب الغربي ويمتد شرقا عبر قزوين ويخترق خمس جمهوريات آسيوية على امتداد حدودها مع الصين. وأكثر حكومات هذه البلدان تديرها شخصيات سياسية قوية أو وارثيهم الأيديولوجيين الذين تسمروا في السلطة منذ العهد الشيوعي. ولعل إسلام كريموف من أوزبكستان هو المثال الأكثر تجسيدا لهذا النموذج..وهذه هي البلاد التي ستحاول الولايات المتحدة وروسيا انتزاع الولاء من خلال العقد القادم في سياق التنافس على النفوذ السياسي في المنطقة. وبدءا من الغرب, تبرز نقطة الاشتعال ممثلة في الحرب الخاصة لروسيا وجورجيا -على الأقل حتى الآن- ضد المقاومة في الشيشان والجمهوريات المجاورة الأخرى. وتعتبر القوقاز ربما المنطقة التي تؤثر فيها الولايات المتحدة بدرجة كبيرة وبشكل يزعج موسكو، وبقدر ما تشعر هذه الأخيرة بالاستياء إزاء الوجود الأمريكي في المنطقة, تريد واشنطن أن تكون حاضرة هناك. أذربيجان المجاورة هي نقطة الانطلاق لخط أنابيب باكو-تبليسي-سيهان، أحد أبرز مشاريع الطاقة الجديدة في آسيا, الذي استثمرت فيه المصالح الغربية بقوة. إلى جانب هذا، فإن أذربيجان تحدّ إيران, ومن المحتمل أن تتحول إلى منطقة ملتهبة في السنة القادمة بسبب قضايا تتعلق ببرنامج الأسلحة النووية الإيراني. في هذه اللحظة, ينبغي أن تفهم موسكو أنه ليس لدى الولايات المتحدة أي نية في تقييد أو حتى تسوية وجودها في المنطقة. وفي انتخابات جورجيا ما بعد الثورة السلمية, فإن الرجل الذي تزعم الحركة المضادة لشيفاردنادز، مخائيل ساكاشفيلي قد فاز بـ 96 في المئة من التصويت بشكل مثير للشكوك، وتبدو موسكو تعيسة ومحبطة إزاء انتخاب زعيم غربي الثقافة - مثل الرئيس الأفغاني حامد كرزاي-. أكثر شرقية باتجاه قلب آسيا الوسطى, تقع كازاخستان وأوزبكستان اللتان تظلان أرضا خصبة للتنافس الأمريكي الروسي. وقد أثبت إسلام كريموف حاكم أوزباكستان "بجدارة" أنه حليف واشنطن ومحل ثقتها رغم أنه مُدان على نطاق واسع لانتهاكاته الواسعة لحقوق الإنسان. وكان نظام كريموف مساعدا فاعلا في الحرب على أفغانستان, يوفر ملاذا آمنا للقتلى والجرحى الأمريكيين الذين يُنقلون إلى القاعدة الجوية لخان أباد.

أما بالنسبة لكازاخستان, فربما بسبب النسبة المئوية الكبيرة للروس (من مجموع 16 مليون نسمة، فإن ثلثهم ذو أصول روسية) والحدود الشاسعة المشتركة بين البلدين, فإن الكرملين قد يمتلك زمام الأمور في التعامل مع "آستانا" (عاصمة كازاخستان)، ومع ذلك فإن شركات غربية كثيرة تشترك في الاستثمارات هناك، بما في ذلك شركة شيفرون تكساكو.

للعودة للأعلى